



خير أمة أخرجت للناس



يا زماني أنا حرُّ
 أنا بالله عزيزُ
 أنا للآله وليُّ
 أنا عبد الله لا عب
 أنا أقوى الخلق بال
 إن يكن قد تاه (إليبا)
 فـأنا أدري- وأدري
 أنا أدري غـايـتي، أعـ
 حسبي القرآن أتلو
 حرر الإسلام ذاتي
 عزتي في سجداتي
 لا لعُزى أو مناة
 بد الهوى والشهوات
 هـ، بذكرى، بصلاتي
 في فيافي الفلسفات
 لم أدري- سر ذاتي
 رفُ منهج حياتي
 هـ فيحى لى مواتي^(١)

● «لما أسلم أبو ذر -رضي الله عنه- قال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم.. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته:

(١) ديوان المسلمون قادمون، مرجع سابق.



أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. ثم قام القوم
فضربوه حتى أضجعوه..

وأتى العباس فأكب عليه. قال: ويلكم، ألسستم تعلمون أنه
من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد
لمثلها، فضربوه، وثاروا عليه، فأكب العباس عليه^(١).

لقد خلق الله هذه الأمة عزيزة أبية، لتكون شاهداً على الأمم
الأخرى، فلم تعبد غيره، ولم تسجد لسواه، وحاشاها أن تتخذ إلهاً
غير الله، أو تنحرف بالعبادة كما انحرفت أمم قبلها.

ولقد شرع القتال في الإسلام، لرد الاعتداء، والقيام بواجب
الدعوة، وإعادة تأهيل البشرية لمرحلة جديدة تصان فيها الحرمات،
ويقتص من القوى للضعيف، ويؤخذ على يد الظالم الفاسد، رغم ما
في هذا الإجراء (القتال) من تضحيات وخسائر، هي في الحقيقة مكسب
هائل للبشرية، ومنة من رب الأرض والسموات.. ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ
يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ
نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٤، ٧٥].

(١) اللؤلؤ والمرجان ص ٦٦٧، ٦٦٨ - نقلاً عن: الابتلاء والمحن في الدعوات، مرجع سابق.



وهذه الأمة الخاتمة، هي التي وضعت أول دستور للمعاملات الإنسانية، وعلى رأسها حقوق الإنسان، نزل به الوحي مفصلاً، فصارت لا تقبل الضيم على نفسها، ولا ترضاه لغيرها... والمسلم المستضعف معاتبٌ على هذا الضعف إذا لم يأخذ بأسباب القوة، والسعى للخروج من حالة الهوان التي يحيها.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسَعَةَ فُتْهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]. إن هذه القواعد النيرة، هي التي أعطت الحق لعلماء المسلمين في الاستغناء عن الملوك والأمراء، ومن ثم عدم الحرج من نصحهم وتقويمهم، والتصدي لهم إن تطلب الأمر ذلك..

● حج هشام بن عبد الملك، فلما كان في الطواف رأى سالم بن عبد الله وهو يطوف وحذاؤه في يديه، وعليه ثياب لا تساوي ثلاثة عشر درهماً، فقال له هشام: يا سالم، أتريد حاجة أقضيها لك؟

- قال سالم: أما تستحي من الله، تعرض على الحوائج وأنا في بيت من لا يعوز إلى غيره؟!.. فسكت هشام، فلما خرجا من الحرم قال له: هل تريد شيئاً؟

- قال سالم: أمن حوائج الدنيا أو الآخرة؟، - فقال: من حوائج الدنيا.

- فقال سالم: والله الذي لا إله إلا هو ما سألت حوائج الدنيا من الذي يملكها تبارك وتعالى؛ فكيف أسألها منك؟

● يروى الطبري - في أحداث العام الرابع عشر للهجرة:

«نزل رستم - قائد الفرس - بالقنطرة، وراسل زهرة بن حوبة - أحد قادة المسلمين - فخرج إليه حتى واقفه (اقترب منه) وواجهه، فأراد أن يصالحهم ويجعل لهم جُعلا على أن ينصرفوا عنه، ودار بينهما حوار طويل ختمه زهرة بقوله:

«إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة.. بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولا، فدعانا إلى ربه، فأجبناه، فقال لنيه ﷺ: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني، فإننا نتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحدٌ إلا ذل، ولا يعتصم به أحدٌ إلا عز. أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به، فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى».

● لما افتخرت قريش على سلمان الفارسي، قال رضى الله عنه: «لكني خلقتُ من نطفة مذرة، ثم أعود إلى جيفة منتنة، ثم أتى الميزان، فإن ثقل فأنا كريم، وإن خف فأنا لئيم. ثم أشد:

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم



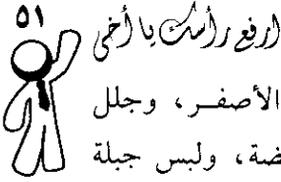
الاستعلاء بالإيمان.. وليس التعالى بالظلم



ليس من عزة المسلم ظلم الآخرين، أو التعدى عليهم، ولو كانوا كفاراً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

وهناك فرق كبير بين الاستعلاء الإيماني الذي يقطع علاقة المسلم بالجاهلية، ويرفعه إلى مرتبة عليا يشعر معها بأنه خير من الكافرين والفاستقين في الحال والمآل. والاستعلاء الكاذب الذي يحمل المرء على الكبر وتجاوز الحد.. ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

● لقد ضرب جبلة بن الأيهم، آخر ملوك الغساسنة، المثل في العزة المؤثمة والاستعلاء الكاذب، فكانت عاقبته سوءاً.. فقد كتب جبلة إلى عمر -رضى الله عنه- يعلمه بإسلامه ويستأذنه في الوفود عليه، فسُرَّ بذلك هو والمسلمون. فكتب إليه عمر: أن أقدم فلك ما لنا وعليك ما علينا، فقدم في خمسمائة فارس، فلما دنا من المدينة



ارفع رأسك يا أخي

ألبسهم الوشى المنسوخ بالذهب والحريير الأصفر، وجلل الخيل بجلال الديباج وطوقها بالذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قُرطا مارية، فلم يبق بالمدينة أحد إلا خرج للقاءه، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه، ثم حضر الموسم من عامه ذلك، فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجلٌ من فزارة فحلّه، فالتفت إليه جبلة مُغضبًا ولطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه إلى عمر رضى الله عنه، فبعث إليه يقول: ما دعاك إلى أن لطمت أحاك فهشمت أنفه؟

- قال: إنه وطئ إزارى فحلّه، فلولا حرمة البيت لأخذتُ الذى فيه عيناه. فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت، فإما أن تُرضيه وإلا أقدته منك.

- قال: أتقيدُه منى وأنا ملك وهو سوقة؟

- قال عمر: يا جبلة إنه قد جمعك وإياه الإسلام، فما تفضله إلا بالعافية.

- قال: والله لقد رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية.

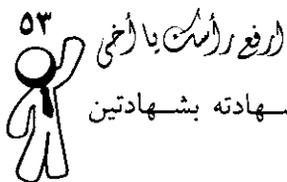
- قال عمر: هو ذاك.

- قال: إداً أتصنر.

- قال: إن تنصرت ضربتُ عنقك.

- فقال جبلة: أخرنى إلى غد يا أمير المؤمنين.

- قال: ذلك لك.



(عاصم بن أبى الأقلح)، ومنا من أجزت شهادته بشهادتين (خزيمة بن ثابت).

إنه الإيمان الذى يرعى الضعيف، ويسر الحزين، ويواسى المكلموم، ويقيم العدل بين الناس، مقتصاً من الظالم، بلا مهادنة، أو مساومة.. وإذا كان الإيمان يجعل صاحبه متواضعاً ورعاً فإنه يكره إليه فى الوقت ذاته، الذل والخنوع والملق..

● خطب عمر بن الخطاب - فى وقت خلافته - فى الناس، فى وجود الولاية قال: إني لم أستعمل عليكم عمالى ليضربوا بأشاركم، ويشتموا أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له على، يرفعها إلىّ حتى أقص منه. فقال عمرو ابن العاص: يا أمير المؤمنين، أرايت إن أدب أمير رجلاً من رعيتك؛ أتقصه منه؟! قال عمر: ومالى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه؟.

قالوا لنا: الغرب!! قلت: صناعة وسياحة ومظاهر تغرينا لكنه خاوم من الإيمان لا الغرب مقبرة المبادئ لم يزل يرمى بسهم المغريات الدنيا رفعت يداً أبدى لها السكينا الغرب مقبرة العدالة كلما

وعلى هذا فإن الإسلام يحذر المفرطين فى حقوق الإنسان، حاكمين ومحكومين، يحذر الحكام لأن منهم من يستخدم سيفه وذهبه لتركيع

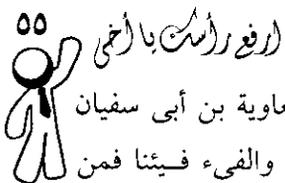


الناس له، والتسبيح بحمده، حتى يخشوه أكثر من خشيتهم لله، يقول النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات ماتلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا» [مسلم]..

ويحذر المحكومين، لعجزهم وهوانهم، وانكسارهم أمام حكامهم؛ فلا يستطيعون ردهم عن الحكم بالهوى، ولا يقوون على أمرهم ونهيهم وتبصيرهم بالحق.. وأمثال هؤلاء المحكومين يميئون في الأمة فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي من أجل الإصلاح، يقول النبي ﷺ: «إنه ستكون بعدى أمراء، من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس بوارد على الخوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وهو وارد على الخوض» [النسائي].

برئتُ منك إذا هادنت طاغية
دستوره البغي والإجحاف والغشم
السجن والقيود والعدوان عدته
وشر أعدائه الإسلام والقيم
يقتات دمع الضحايا في زنازنتهم
كأن أناتهم في أذنه.. نغم
له بطانة سوءٍ كم طغت وبلغت
وهم على الشعب دوماً نكبة عمم^(١)

(١) ديوان (الله والحق وفلسطين)، د. جابر قميحة، توزيع: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م.



● أخرج الحافظان الطبراني وأبو يعلى: أن معاوية بن أبي سفيان صعد المنبر فقال عند خطبته: إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه.. فلم يجبه أحد.

فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن حضر المسجد فقال: كلا، إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا.

فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله، فقال القوم: هلك الرجل، ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير.

فقال معاوية للناس: إن هذا أحياني أحياء الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بعدى أمراء يقولون ولا يُردُّ عليهم يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة» وإني تكلمت أول جمعة فلم يردَّ عليَّ أحد فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يردَّ عليَّ أحد فقلت في نفسي: إني من القوم، ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فردَّ عليَّ فأحياني أحياء الله»^(١).



(١) مجمع الزوائد ٥/٢٣٦- نقلاً عن: مواقف في الجراءة، د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.



احذروا التنازل والاستدراج



إن مما يقدر في عزة المسلم أن يقدم التنازلات لخصوم الإسلام وأعداء الدعوة، تبدأ هذه التنازلات قليلة صغيرة، وتنتهي بالانحراف الكامل في نهاية الطريق.. وخصوم الإسلام يدركون تماماً أن الذي يقبل المساومة في دعوته ولو بشكل يسير في المرة الأولى، سوف يقبل بالتفريط فيما هو أكبر بعد ذلك، وهم يستخدمون مع هذا الصنف من الناس طريقة (العصر)، فكلما وجدوا منه استجابة ضغطوا عليه من أجل المزيد؛ كالليمونة لا تكف اليد عن عصرها حتى ينفد ماؤها ولا يبقى منها سوى (القشرة)، التي يكون مآلها سلة المهملات!!..

● كان المسلمون بعد موت النبي ﷺ كالغنم في الليلة المطيرة، كما وصفتهم السيدة عائشة -رضي الله عنها- حتى قال بعض المسلمين لأبي بكر: «يا خليفة رسول الله.. لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً، الزم بيتك، وأغلق بابك، وابد ربك حتى يأتيك اليقين..»

لكنه -رضي الله عنه- صاح في وجه عمر: «أجبار في الجاهلية حوار في الإسلام؟! لقد تم الوحي واكتمل.. أفينقص الدين وأنا حي؟!»، والله لو منعوني عقاب بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف بيدي»..



فما كان من عمر -رضى الله عنه- إلا أن قال: «لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق».

إن المؤمن المستعلى بإيمانه، لا يغير جلده، ولا يتدنى بالاستجابة لمبغضه وعدوه، وهو يقبل العذاب ولا يقبل إقرار الظالم على ظلمه، لا يدهان، ولا يفرط، ولا يساوم، يحذر التدليس والافتتان والاستدراج، ولا يركن إلى الطغاة ولا يتبع أهواءهم..

تهون الحياة وكل يهون	ولكن إسلامنا لا يهون
إذا ما أرادوا لنا أن نميل	عن النهج قلنا لهم: مستحيل
لنا نهجنا من إله جليل	وإنا به أبدأ مؤمنون
هو الدين عصمتنا في الحياة	وليس لنا من سبيل سواه
نساوم لا أيها الغاشمون	نداهن لا أيها المارقون
فإسلامنا نبضنا والعيون	على رغم ما يمكر الماكرون
إلى الدين فالموت أولى بنا	ولسنا نفرط في ديننا

● حكي الإمام الغزالي في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في الإحياء: أن شيخاً كان يمشى في الطريق يلتقط النوى من الأرض، فكسر عوداً مع خادم يحمله إلى جارية من جوارى هارون الرشيد، تغنى عليه.. وبلغ الخبر الرشيد، فاستشاط غضباً واحمرت



عيناه، وأرسل ليأتوا بالشيخ، فجاءه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال الشيخ: نعم، قال: اركب، فقال: لا..

فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر، ثم أمر بالشيخ وأدخل، وفي كفه الكيس الذي فيه السنوي، فقال له الخادم: أخرج هذا من كحك وأدخل على أمير المؤمنين، فقال: من هذا عشائي الليلة.
- قال: نحن نعشيك.

- قال: لا حاجة لي في عشائك.

- فقال الرشيد للخادم: أي شيء تريد منه؟

- قال: في كفه نوى قلت له اطرحه وأدخل على أمير المؤمنين.

- فقال الرشيد: دعه لا يطرحه.

فدخل وسلّم وجلس، فقال له هارون: يا شيخ؛ ما حملك على ما صنعت؟

- قال: وأى شيء صنعت؟

وجعل هارون يستحي أن يقول: كسرت عودي.

فلما أكثر عليه قال: إني سمعتُ آباءك وأجدادك يقرأون هذه الآية على المنبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠]، وأنا رأيت منكراً فغيرته، فقال له هارون: فغيره..



فلما خرج، أعطى الخليفة رجلاً بدرة (عشرة آلاف درهم)، وقال: اتبع الشيخ، فإن رأيته يقول: قلت لأmir المؤمنين وقال لي، فلا تعطه شيئاً، وإن رأيته لا يكلم أحداً فأعطه البدره... .

فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها، ولم يكلم أحداً، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: خذ هذه البدره، فقال له: قل لأmir المؤمنين يردها من حيث أخذها^(١).

● «وها هو ذا الشيخ سعيد الحلبي - رحمه الله - جلس يوماً في الجامع الأزهر، يتكئ على عمود من أعمدته، وقد مدّ رجله ليسترخ من طول الجلوس، فدخل الجامع إبراهيم بن محمد على حاكم مصر وطاغيها، فهرع الناس لاستقباله، وبقي الشيخ سعيد على جلسته لم يتحرك، وطاف إبراهيم في جنبات المسجد حتى مر بالشيخ سعيد، ووقف على رأسه غاضباً، والشيخ سعيد لا يأبه به ولا يلتفت إليه، ولا يعيره اهتماماً... .

لقد انصرف إبراهيم باشا إلى قصره، وحاول أن (يزحلق) العالم الجليل، فأرسل إليه صرة من ذهب؛ يستميل بها الشيخ ويفتنه، ولما قدم سفير الباشا إلى الشيخ وأبلغه تحيات الباشا، وأنه قد أرسل إليه هذه الصرة من الذهب تكريماً له، وصلة للعلماء، فنفر الشيخ من

(١) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.



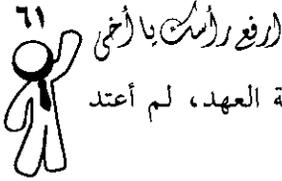
الصرة، وكأنها ثعبان لدغته، وقال للسفير: قل لإبراهيم إن
الذي يمد رجله لا يمد يده»^(١).

إن الذين يتكسبون بالإسلام لا يستطيعون خدمته، والذين يركنون
للظالمين سرعان ما يزيغون عن طريق الحق، ثم ينضمون إلى فريق
الضلال والنفاق، ينافحون عن الفساد، ويقبلون العيش الذليل في
حمى الفساق والفاحشين. . ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣]، ﴿وَلَا
تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا مَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

● تقول الحاجة زينب الغزالي في مذكراتها (أيام من حياتي): أخذ
رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتى ويعرضون علىَّ
عروضاً لإعادة المركز العام للسيدات المسلمات^(٢)، وكانت هذه
العروض تكلفنى أن أشترى الدنيا بالآخرة، وعلى سبيل المثال عرضوا
علىَّ إصدار مجلة السيدات المسلمات باسمى كرئيسة للتحريير وصاحبة
الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه شهرياً، على ألا يكون لى شأن بما يكتب
فى المجلة. وكان جوابى: مستحيل أن تصدر مجلة السيدات

(١) أسس فى التصور الإسلامى - نقلاً عن: الابتلاء والمحن فى الدعوات، مرجع سابق.

(٢) صدر قرار حل المركز العام الذى ترأسه السيدة زينب الغزالي فى ٦/٩/١٩٦٤م.



المسلمات من مكاتب المخابرات لتنتشر علمانية العهد، لم أعتد إلا أن أكون مسئولة مسئولية فعلية .

كذلك عرضوا علىّ إعادة المركز العام وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنويًا، على أن يكون إحدى مؤسسات الاتحاد الاشتراكي، وكانت إجابتي: إن شاء الله لن يكون عملنا إلا للإسلام، ولن نهوى ولن نفضل. وكان هذا الرفض يغضبهم، ولكنهم يحاولون إغرائني المرة بعد المرة، وكنت أتعجب من هذه الطريقة ومن إصرارهم على هذه المحاولات الفاشلة^(١).

● وهذا المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمساني يتلقى دعوة من إحدى المجلات لندوة من الندوات، وقد قدموا له مقابلًا فرفض بعزة وإباء قائلاً: «لو كنت أعلم أن الدعوة إلى الله تدفعون لها مقابلًا لما حضرت»، فقالوا له: إنها مصاريف الركوب والانتقال، فقال لهم: «عندي سيارة أعدها الإخوان لمثل هذه الأمور»، فقالوا له: ولكنهم جميعًا يأخذون. فقال لهم: «إنني لستُ من هذا الجميع، أنا رجل على باب الله».

وفي إحدى المرات ألقى عدة محاضرات في دولة من الدول العربية، فجاءه أحد المسؤولين في تلك الدولة حاملاً مظروفًا به خمسة

(١) أيام من حياتي، زينب الغزالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٩م.



وعشرون ألف درهم، فقال له الأستاذ عمر: ما هذا؟ وظن الرجل أن الأستاذ عمر يستصغر المبلغ فقال: إن غيرك يأخذ نصف هذا المبلغ. فقال له الأستاذ: إنك في وادٍ وأنا في وادٍ آخر، أنا لا آخذ أجراً على كلمة ألقها في سبيل الله، وإن كان لابد من دفع هذا المبلغ فضعه في بنك من البنوك لحساب مجاهدي أفغانستان الأبرار».

وقابله ذات مرة أحد رؤساء الوزارات المصرية في زمن السادات، وعرض عليه أن تدعم الحكومة مجلة الدعوة، فأبى الأستاذ عمر ذلك بشدة، وعلل هذا التصرف بقوله: «وسواء أكنت مصيباً أو مخطئاً فإنه أفضل دائماً أن يكون كلام الدعوة بلا مقابل؛ فذلك أدعى لاحترامهم وأدعى أن يكون الكلام يُبتغى به وجه الله»^(١).



(١) عمر التلمساني.. بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ، مصطفى العدوي، دار الأقصى للكتاب، ١٩٨٧م.



فاقضى ما أنت قاض



عنصر القوة فى الإسلام، كامن فى ملاءمته للفطرة البشرية، وفى الاستعلاء على العبودية للعباد ورفض الخضوع إلا لله رب العالمين، وفى عدم الوقوع تحت سلطان الطغاة المتسلطين، مهما اشتدت وطأتهم، ومهما قاموا بحملات القمع والإبادة، والتضليل والتشويه.

إن عقيدة المسلم تفرض عليه ألا يتوكل إلا على الله، وألا يركن لسواه، وألا يدعو غيره، فإذا وقع بينه وبين الظالمين صدام؛ ثبت فى الميدان، واحتمل الأذى والعذاب، صابراً محتسباً، موقناً بنصر الله، وبوعده للصادقين المخلصين . . . ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

والمسلم صحيح الإسلام، سليم العقيدة والفكر، يكون صلب العود، شديد الثقة بربه، وبالسبيل التى يسلكها، كما هو على ثقة أشد بثهافت الظالمين، وبسوء مآلهم، وبما هم عليه من خسران وبوار . . . ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَىٰ



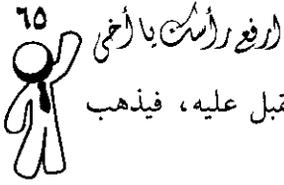
اللَّهُ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿ [غافر: ٤٣ ، ٤٤].

وفى سبيل هذه العقيدة، يستهين المؤمن بكيد الطواغيت، ويسخر من قيودهم وأدوات تعذيبهم، لأنهم -لغنائهم- يعذبون الجسد، ولا يدركون أن مصدر النور ومنبع الإيمان، فى الصدر، وهو ما لا يستطيعون الوصول إليه... ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧٢ ، ٧٣].

تالله ما الطغيان يهزم دعوة يومًا، وفى التاريخ بر يمينى
 ضع فى يديّ القيد، ألهب أضلعي بالسوط، ضع عنقى على السكين
 لن تستطيع حصار فكرى ساعة أو نزع إيمانى ونور يقسمنى
 فالنور فى قلبى.. وقلبي فى يديّ ربي.. وربى ناصرى ومعينى^(١)

● قال عمرو بن العاص: مررتُ ببلال وهو يعذبُ فى الرمضاء، لو أن بضعة لحم وضعت لنضجت، وهو يقول: (أنا كافر باللات والعزى)،

(١) الملحمة التونية، ديوان (نضجات ولغجات)، د. يوسف القرضاوى، دار الصحوة للنشر، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٨م.



وأمية بن خلف مغتاط عليه فيزيده عذاباً فيقبل عليه، فيذهب خلفه فيغشى عليه، ثم يفيق»^(١).

● ومر أبو بكر -رضى الله عنه- بأبى فكيهة واسمه أفلح وقيل يسار -رضى الله عنه- وقد أخذه أمية بن خلف فربط في رجله حبلاً، وأمر به فجراً، ثم ألقاه في الرمضاء، فمر به جُعلاً، فقال: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي خلقتي، وخلقك، وخلق هذا الجُعَل. فغلظ عليه، وجعل يخنقه، ومعه أخوه أبى بن خلف يقول له: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه. فأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيداً إلى الرمضاء، ووضع على بطنه صخرة، فدلع لسانه، فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق فمر به أبو بكر -رضى الله عنه- فاشتراه وأعتقه»^(٢).

● وأعجب من ذلك، ماشطة ابنة فرعون، التي سقط المشط من يدها ذات يوم، فقالت: بسم الله، فرفعت ابنة فرعون رأسها وقالت: أبى؟ فقالت الماشطة: لا، ربي ورب أبيك الله، فقالت لها: أخبر أبى بذلك إذأ؟! فقالت: أخبريه، فأتى بها فرعون وهو ليس لديه أدنى شك أنها ستراجع، فسألها فأعادت عليه الكلام نفسه..

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٨٥ -نقلاً عن: الابتلاء والمحن، مرجع سابق.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٨٠، ٤٨١ -نقلاً عن: الابتلاء والمحن.



فأحضر فرعون قدراً من نحاس، فأوقد عليها النار حتى احمرت كالجمرة، فأعاد عليها الكلام فثبتت على دينها.. فأخذ طفلاً لها رضيعاً فألقاه في القدر، فإذا بالرضيع ينحس كما تنحس الحبة، فقالت له: لى عندك حاجة؛ أن تجعل رفايتى ورفات أبنائى فى قبر واحد، فقال لها: لك هذا، ثم ألقاهم واحداً تلو الآخر.. وهى تنظر وتحتسب».

يرفع المؤمنون شعار ﴿وَلَنصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾، مؤملين فى فرج الله القريب، غير مستعجلين، لعلمهم أن طريق المؤمنين محفوظ بالمخاطر والفتن، وماذا يفعل العبيد وجيوش الظلم والإحاد مع رسل الله والصالحين من عباده - إلا أذى، سرعان ما يكون برداً وسلاماً على المتوكلين، ومقماً وعذاباً على الظالمين.

وشتان بين دنيا فانية وعرض زائل، وما عند الله تعالى من نعيم مقيم، ومغفرة ورضوان.. تهون الحياة إذاً، ويُحتمل العذاب والبلاء، ويُستعذب القتل والسخرية والتشريد؛ فى سبيل ما عند الله من فضل.. وهذا ما فعله سحرة فرعون، رحمهم الله أجمعين، فإنهم لم يترددوا لحظة فى بيع أنفسهم وما يملكون لله، مقابل ما هو خير وأبقى: الجنة.. كما لم يفكروا لحظة فيما ينتظرهم من قتل وعذاب، بل العكس، تحدوا جبار الجبابرة، فى لحظة من أروع لحظات الإيمان، فسجدوا -على رءوس الأشهاد- لله، معلنين الإيمان بالله، والكفر



بفرعون . . . ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه: ٧٠]، فتوعدهم الطاغوت، وأرغى وأزبد . . . ﴿ قَالَ آمَنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَا لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧١]، غير أنهم لم يعبأوا بقوله، ولم يلتفتوا لتهديده، حيث كانت أعينهم تنظر في ملكوت أرحب، ونعيم ليس بعده نعيم، ولذا فإنهم لا يسمعون ما يقول، ولا يشعرون بوجوده من الأساس . . . ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

إننا بحاجة - كل فترة - إلى التذكرة بمعاني الثبات، وبما يجب أن نقدمه لديننا وأمتنا من تضحيات . . . وخصوصاً عندما يزداد كبر الباطل وعندما يزهو وتتفخ أوداجه، طامعاً في استئصال الحق وإفناء أتباعه . . . تكون تلك التذكرة باستعراض سير الرسل والصالحين، وما لاقوه من أقوامهم، وكيف ثبتوا وتحذوا الملاءم المترفين . . . وتكون التذكرة أيضاً بالفهم الصحيح لحقيقة الدين، ودوره في إصلاح الأمم وما يستتبعه ذلك الإصلاح من صعوبات، وما يقع على الفئة المؤمنة من عنت وإيذاء، يقول النبي ﷺ: «إن الرجل قبلكم كان يمشط بأمشاط



الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب، ويُنشر بالمنشار فرقتين؛ ما يصرفه ذلك عن دينه، والذي نفسى بيده ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه.. ولكنكم تستعجلون» [البخارى].

● قال عروة بن الزبير فيما رواه ابن إسحاق عنه: أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش القرآن يُجهر لها به قط، فمن رجل يُسمعه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه. قال: دعونى فإن الله سيمعنى. فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، وقريش فى أنديةها، حتى قام عند المقام، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢]، ثم استقبلها يقرؤها، وتأملوه يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه.. وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذى خشيناه عليك. قال: ما كان أعداء الله تعالى أهون علىّ منهم الآن، ولئن شئت لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون»^(١).

(١) سبيل الهدى والرشاد ٢/٤٦٨، ٤٦٩- نقلاً عن الابتلاء والمحن، مرجع سابق.

● «يذكر البلاذري وغيره أن لبيبة جارية بنى مؤمل قد أسلمت قبل عمر ابن الخطاب -رضى الله عنه- فكان عمر يعذبها حتى يفتر، فيدعها ثم يقول: أما إنى أعتذر إليك بأنى لم أدعك إلا عدامة، أى تعباً وإعياءً، فتقول: كذلك يعذبك الله إن لم تسلم»^(١).

إن هذا التاريخ الناصع من التضحية فى سبيل الله، والاستهانة بمكر الماكرين، من أعداء وخصوم الإسلام، هو الذى أبقى الدين، وهو الذى سقى شجرة الحق حتى رأيناها نحن بيضاء نقية، وحتى سمعنا وشاهدنا رجالاً عذبهم الطغاة المجرمون عذاباً لا يحتمله بشر؛ فلم يزد أحدهم على تفويض أمره لله، مستمسكاً بدينه، مستعلياً على الحكام، والأنظمة والعروش الواهنة وهن بيت العنكبوت..

● فالأخ إبراهيم الطيب.. أحد الشهداء الستة الذين أعدمهم الطاغية عبد الناصر، إثر محاولة اغتياله المزعومة بالمنشية.. وهو نموذج فذ للرجولة، والصلابة، والشجاعة، والصبر، والثبات، ورباطة الجأش.. قالت عنه الصحافة المصرية وقت محاكمته: «إنه أجهد الأمن فى البحث عنه، وأجهد المحققين فى أخذ أقواله، وأجهد المحكمة والجمهور برودده وإصراره وثباته».

- سئل: ماذا فعلوا بك يا إبراهيم؟!

- قال: عذبونا عذاباً لم يذقه بشر.

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٩٥ - نقلاً عن الابتلاء والمحن.

٧٠
ارفع رأسك يا أخى

- قيل له: وما كان شأنه - أى التعذيب - قبلك؟!
- أجاب: شأن أبى الأنبياء إذ ألقى به فى النار، كان برداً
وسلاماً.

فى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤، نُفذ حكم الإعدام فى إبراهيم
الطيب وإخوانه ..
وكانت آخر كلماته:

﴿ فَاَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢]،
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] (١) ..



(١) مجلة لواء الإسلام، العدد الحادى عشر، السنة الثانية والأربعون، رجب ١٤٠٨ هـ،
فبراير ١٩٨٨ م.

عزة العلماء



العلماء هم ورثة الأنبياء، القائمون بأمر الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على حدود الله.. وهم أكثر الناس خشية لربهم.. ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ .. ﴾ [فاطر: ٢٨]، الشاهدون له بالوحدانية.. ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]..

وللمسئولية التي في أعناقهم والدور الذي أوكلوا به، فإنهم لا يخافون في الحق لومة لائم، وكيف يخافون وهم حملة الفقه وعلامات الناس ونجومهم في الأرض؟! ﴿ الَّذِينَ يُلَٰغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ .. ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

يقول النبي ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» [البرازر]، ويقول ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في حجرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير» [الترمذي]. ويقول أبو الدرداء -رضي الله عنه-: «مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها».

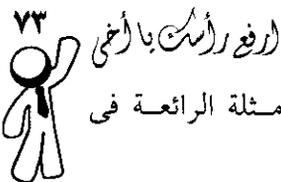


والطغاة فى كل وقت وحين، لا يسمون من إسكات العلماء؛ إما باحتوائهم وإغوائهم، أو بتشويهم وتحقيرهم والسخرية منهم.. يفعلون كل ذلك، للفت فى عضدهم، وتهوين شأنهم، وإضعاف حماس من يتبعونهم ممن يصغون لفكر الإسلام ودعوته الراشدة.

وهناك للأسف قلة من العلماء تخضع لتهديد الطغاة، وتتبع أهواءهم، فيفتنون بذلك غيرهم، ويكونون قاصمة الظهر، لتهتكهم وصغار شأنهم، ولذا فإن الله حذر هؤلاء تحذيراً شديداً، ووبخهم أشد التوبيخ على الجريمة التى ارتكبوها فى حق الله ورسالاته، يقول تعالى:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

لكن غالبية علماء الإسلام، على العهد الذى قطعوه على أنفسهم، كما جاء على لسان عبادة بن الصامت -رضى الله عنه- قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكروه، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم -أو نقول- بالحق حيثما كنا، لا نخاف فى الله لومة لائم» [البخارى].



ولذا رأينا نماذج من العلماء، ضربوا الأمثلة الرائعة في الشجاعة وعزة النفس، والثبات على الحق..

● فيها هو ذا الداعية الفقيه سعيد بن جبير يواجه طاغية زمانه الحجاج بن يوسف الثقفي، فلم يزل يجادله ويحاججه، شارعاً سيف الحق في وجهه، حتى ضاق به الظالم الفاسق فقتله.. ليذهب سعيد إلى ربه شهيداً، وليتخطف الردى ذلك الملعون بعد خمسة عشر يوماً من موت سعيد، تتلقاه ملائكة العذاب، يذيقونه كنوس (العزة والكرامة) التي جعلها الله للطغاة المستبدين..

- الحجاج: ما اسمك؟

- سعيد: سعيد بن جبير.

- الحجاج: بل أنت شقي بن كُسير.

- سعيد: بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

- الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك.

- سعيد: الغيب يعلمه غيرك.

- الحجاج: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى.

- سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

- الحجاج: فما بالك لا تضحك؟



- سعيد: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار؟

- الحجاج: فما بالننا نضحك؟

- سعيد: لم تستو القلوب.

وفكر الحجاج في أن يستميل قلب سعيد بن جبير بالمغريات والماديات، فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فجمعه بين يدي سعيد ابن جبير.

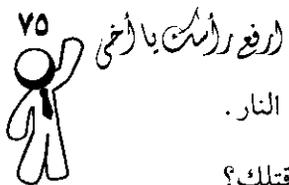
- فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فقد أخطأت، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جُمع للعنكبوت إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونُفخ في الناي بكى سعيد بن جبير.

- فقال الحجاج: ما يبكيك؟ أهو اللهب؟

- قال سعيد: بل هو الحزن، أما النفخ فقد ذكرني يوماً عظيماً؛ يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قُطعت في غير حق، وأما الأوتار فإنها أمعاء الشياه يُبعث بها معك يوم القيامة.

- فقال الحجاج: ويلك يا سعيد.



- سعيد: الويل لمن زُحرح عن الجنة وأدخل النار.
- الحجاج: اختر يا سعيد أى قتلة تريد أن أقتلك؟
- سعيد: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.
- قال: أفتريد أن أعفو عنك؟
- قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.
- قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه.
- فلما خرج من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده.
- فقال: ما أضحكك؟
- قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك.
- قال الحجاج: اقتلوه.
- فقال سعيد: وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.
- قال الحجاج: شدوا به لغير القبلة.
- قال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله.
- قال الحجاج: كبوه لوجهه.



- قال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

- قال الحجاج: اذبحوه .

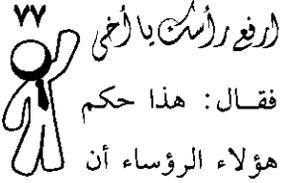
- قال سعيد: أما إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأن محمداً عبده ورسوله . خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة .

ثم توجه سعيد بن جبير بالدعاء إلى الله قائلاً: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى .

وقُتِل سعيد بن جبير رحمه الله وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة يعانى المرض ثم مات . .

وكان ينادى بقیة حياته قائلاً: ما لى ولسعيد بن جبیر، كلما أردت النوم أخذ برجلی!! .

● وهذا العز بن عبد السلام، وقد أفتى بأن حكم الرق ما زال مضروباً على أمراء الممالیک -الحکام وقتها- حيث لم يثبت لهم وصف الحرية وقد اشتروا بأموال المسلمين . . فلما بلغهم ذلك اشتد الأمر عليهم، وهو مصمم على فتواه، لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً، ولا زواجاً، فلما تعطلت مصالحهم أرسلوا إليه يشاورونه فيما يرى لحل المشكلة، فقال لهم: نعتد لكم مجلساً، ويُنادى عليكم لسبيت المال، ويحصل عتقكم بطريق شرعى . .



فدفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فقال: هذا حكم الإسلام، ولا يسعني أن أرجع عنه، فأراد هؤلاء الرؤساء أن ينالوا منه، فاعتزم الهجرة، حمل أهله وحوادثه وقصد إلى الشام، فلم يسر إلا قليلاً وتبعه الناس... وكادت تكون فتنة.

وبلغ الخبر السلطان فاستدعاه وأرضاه، وجمع بينه وبين الرؤساء والأمراء، وقال لهم: هذا حكم الدين ولا يسعنا أن نخالفه. فماذا يرى الشيخ؟ فقال: أنادى عليهم، وأبيعهم وأعتقهم باسم المسلمين. قالوا: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين.

قالوا: من يقبضه؟ قال: أنا. وتم له ما أراد، ونادى عليهم واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه ورده إلى بيت المال، وأعلن عتقهم وحريرتهم، وأشرف على إنفاق هذا المال في مصالح الأمة.

● وهذا شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق - رحمه الله - يرفع اسم الأزهر شامخاً أيباً، مستعصياً على الأنظمة البائسة، مستتبلاً في الذود عن الإسلام وشريعته الغراء..

لما عُقد مؤتمر السكان الدولي المشبوه بالقاهرة عام ١٩٩٤، أرادت السلطة الحاكمة أن تمرر وثيقة المؤتمر التي تبنتها الصهيونية العالمية، وتدعو صراحة إلى إباحة الشذوذ الجنسي، والزنى، والإجهاض..



إلا أن الإمام الراحل أذهب غيظ قلوب المؤمنين وشفاه صدورهم، وصفع العصاة الإباحيين على وجوههم، وأثبت لهم أن صوت الأزهر باق باق، وأن أمة محمد مازالت بخير.. إذ سرعان ما قدم تقريراً علمياً وافيّاً بأضرار ما تدعو إليه الوثيقة، أعقبه بيان شديد اللهجة، يرفض المؤتمر ووثيقته، لمخالفتها شريعة الإسلام، ومحذراً الأمة الإسلامية من مجرد النظر في وصايا المؤتمر الصهيوني الضال.

● وهذا الأوزاعي.. يقول كلمة الحق بجرأة بالغة في وجه جبار من الجبابرة، بعد أن اغتسل ولبس أكفانه استعداداً للموت، مستلهماً جرأته تلك من حول الله وقوته.. لما فتح عبد الله بن علي العباسي دمشق، قتل في ساعة واحدة ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين، وأدخل بغاله وخيوله المسجد الأموي الكبير، ثم جلس للناس وقال للوزراء: هل يعارضني أحد؟ قالوا: لا. قال: هل ترون أحداً سوف يعترض عليّ؟ قالوا: إن كان فالأوزاعي، قال: تعالوا به.

فذهب الجنود للأوزاعي فما تحرك من مكانه، قالوا: يريدك عبد الله بن علي، قال «حسبنا الله ونعم الوكيل»، انتظروني قليلاً، فذهب فاغتسل، ولبس أكفانه تحت الثياب، ثم قال لنفسه: الآن آن لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق، لا تخشى في الله لومة لائم..



ثم يصف دخوله على هذا السلطان الجبار فيقول:

دخلت فإذا أساطين من الجنود صفان، قد سلّوا السيوف، فدخلت من تحت السيوف حتى بلغت إليه، وقد جلس على سريره وبيده خيزران، وقد انعقد جبينه عقدة من الغضب، قال: فلما رأيته والله كأنه أمامي ذباب، فما تذكرت أحدًا، لا أهلاً ولا مالا ولا زوجة، وإنما تذكرت عرش الرحمن إذا برز للناس يوم الحساب، قال: فرفع بصره وبه غضب على ما الله به عليم، قال: يا أوزاعي، ما تقول في الدماء التي أرقناها؟ قال الأوزاعي: حدثنا فلان.. قال: حدثنا ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» [البخاري ومسلم]، فإن كان من قتلهم من هؤلاء فقد أصبت، وإن لم يكونوا منهم فدمائهم في عنقك، قال: فنكث بالخيزران، ورفعت عمامتى أنتظر السيف، ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم ويرفعونها عن الدم.

- قال: وما رأيك في الأموال؟

- قال الأوزاعي: إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً

فعقاب!!

- قال: خذ هذه البدرة (كيس مملوء بالذهب).



- قال الأوزاعى: لا أريد المال، قال: فغمزنى أحد الوزراء-
يعنى خذها.

ثم أخذ الكيس ووزعه على الجنود، ثم رمى به وخرج.

- قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قلناها يوم دخلنا وقلناها يوم خرجنا
﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللّٰهِ وَقَضَلَ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللّٰهِ
وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].





ارفع جبينك يا وريث محمد



سلامٌ على الدنيا سلامٌ على الورى إذا ارتفع العصفورُ وانخفض النسرُ
نعم، فإن العزيز هو الله، ورسوله، والمؤمنون.. وإن المستكين الذليل
هو النجس الذى لا يعرف السجود والركوع لخالق الأرض والسماوات،
فأيهما أحق بالكرامة والرفعة، وأيهما أحق بالعزة والأمن؟!

خَلُّوا الطريق لنا فنحن الناس أما الذين بغوا فهم أنجاس
وارفع جبينك يا وريث محمد حتى يراع الغادر الخناس
وأشهر سلاحك فالحقيقة أنه بسلاحنا كل الأمور تساس
وانفض قيود الذل عن ساحاتها حتى يذوب الذل والنخاس^(١)
واهتف معى بالحق هتفة مسلم: «فلتسقط الأقلام والقرطاس»^(٢)

لقد قام دين الإسلام على دعائم قوية من الإيمان بالله، والزهد،
والتضحية.. فلا يعرف أهله اليأس، أو الضعف، لثقتهم أن الضعيف
لا يظل ضعيفًا طول حياته، وأن القوى لا تدوم قوته أبد الأبدين..

(١) تاجر الرقيق.

(٢) ديوان (الله والحق وفلسطين)، د. جابر قميحة، مرجع سابق.

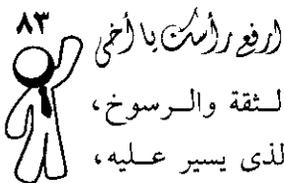


﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥].

ومن التضحية أن تتنكر لمن تنكر لدينك، وأن تقاطع من عادى الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة، ولا معاملة ولا مؤاكلة ولا مشاركة، وفي الحديث: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض». [أبو داود].

إن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، وإن رسالته هي خير الرسالات، ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التي تتحقق بها سعادة الناس أجمعين.. ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

وإذا كان المسلمون هم أهل الحق، وحملة النور، ومادام بين أيديهم هدى السماء، فيجب -إذًا- أن يكونوا أساتذة الناس، يرشدونهم، ويقومونهم، ويقودونهم إلى الخير، ويجب أيضًا أن يكونوا على يقين أن الله ناصرهم ومؤيدهم إذا تخلى عنهم الناس، وأنه سوف يدفع عنهم إذا أعوزهم النصير.. ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَرِيرٌ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].



إن سر الاستعلاء بالإيمان، والشعور بالثقة والرسوخ،
«يكمن في الإرادة، وإيمان الإنسان بالمبدأ الذى يسير عليه،
فالدنيوى لو أن الدنيا ذهبت منه فقد خسر كل شيء، لكن
الإنسان المؤمن الذى يؤمن بأنه ذاهبٌ إلى جنة عرضها السموات
والأرض، يريد أن ينتقل من دنيا فانية إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار
عند رب العالمين، فهو ينتظر هذا اليوم، ويستبسل ويقاتل من أجل
الفوز فى هذا اليوم، ويثبت فى الميدان حتى آخر رمق فى حياته»^(١).

● يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «رفعتُ رأسى فى بيت النبى
ﷺ فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهباً ثلاثة، فلما رأيت أثر
الخصير فى جنبه قلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسّع على أمتك،
فقد وسّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله . . فاستوى النبى
ﷺ جالساً ثم قال: «أفى شك يا ابن الخطاب؟!، أولئك قومٌ عجّل لهم
طيباتهم فى الحياة الدنيا» [البخارى ومسلم].

أنا مسلمٌ سرُّ الكرامة فى دمي	وعقيدتى التوحيد ليس فخارا
أنا مسلمٌ عودى قوىٌ راسخٌ	سأقاوم التيار والإعصارا
أنا مسلمٌ أمشى بخطو ثابت	وأقارع الأهوال والأخطارا
أنا من يحوز المجد من أطرافه	ويحوّل التاريخ والأسفارا
حرىتى عزمى وذلى شهرتى	أنا دستها وصنعتها إكبارا

(١) أحمد ياسين . . شهيد أيقظ أمة، عامر شماخ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٤م.

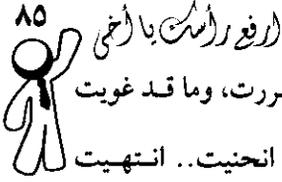


• لما بعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة، لتلافي ما وقع منها من إعانة بنى بكر على خزاعة بالمال والسلاح.. وعند نزوله المدينة، دخل على ابنته أم حبيبة -زوج النبي- وأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية!، ما أدري؛ أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟ قالت: بل هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس، قال: والله لقد أصابك بعدى شر^(١).

ألا فليوقن المسلم أن الله بالغ أمره، وناصر جنده، وهازم الأحزاب وحده، «ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، وما يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر وأهله» [ابن حبان]، وليوقن أن لواءه سيظل مرفوعاً، وعنقه سيقى ممدوداً مطاولاً السماء، ما دام معتزاً بالله، محافظاً على تركة نبيه محمد ﷺ.. أما إن انتكس وساء خلقه واعتز بغير الله، فلن يجنى سوى الغواية والانكسار..

أبكى عليك؟! أبكى إليك؟!
 أبكى علينا لما قد جنيت؟!
 ففي غدك المستباح الجريح
 ستصرخ «يا ليتنى ما انحنيت»
 ويرتد سهمك فى مقتلتيك
 ولن ينقذ البيت آلاف «ليت»

(١) البداية والنهاية- نقلاً عن: السيرة النبوية، للدكتور على محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠١م.



فليس لما قد كسرت النجبارُ بما قد جررت، وما قد غويت
وتدرك بعد فوات الأوان بأنك لما انحنيت.. انتهيت
ومادمت قد بعث حتى الحطام ولم تبق أمّا، وأرضًا، وبيت
وإنى أخشى غداً أن تبيع عظامي، وقبراً به قد ثويت (١)

● يقول الأستاذ عمر التلمساني (٢): «ذهبت في سنة ١٩٧١ مع قريب لي لزيارة رئيس إدارة النيابات، لرفع الاشتباه غير القانوني الذي وضعتني فيه البوليس من أذنان عبد الناصر، وقد حملني قريبي هذا حملاً من أجل هذه الزيارة التي سرتني وأثلجت صدرى.. فبعد استجابة رئيس النيابات وإلغاء الإنذار، دخل أحد وكلاء النيابة علينا وطلب -في انفعال- من رئيس النيابات، نقل الساعى الخاص به، لأنه يرفض أن يشتري له السجائر والأشياء الخاصة، ويقول إنه يتقاضى راتبه من الحكومة للقيام بالأعمال المصلحية وليس للخدمات الخاصة..»

فقال رئيس النيابات لمرءوسه: لك ما طلبت فإنى بحاجة إلى مثل هذا الرجل، الذى يعتز بكرامته رغم صغر وظيفته..»

(١) ديوان (الله والحق و فلسطين)، مرجع سابق.

(٢) الملهم الموهوب، عمر التلمساني، ص ٢١ - ٢٣ - نقلاً عن: مواقف وطرائف من حياة

الدعاة المعاصرين، مرجع سابق.



ويستطرد الأستاذ عمر: وحرصت على معرفة هذا الساعى الشجاع، فتعرفت إليه، فإذا هو أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، فسألته عن سبب تصرفه بهذا الشكل مع رئيسه أجاب:

«إن حسن البناء طلب منى أن أحترم رؤسائى، وأن أحترم - فى الوقت ذاته - نفسى أمامهم، بأداء واجبى نحوهم على الوجه الأكمل. وأوصانى أن أترفع عن القيام بالأعمال التى لا تليق بالأخ المسلم». أ.هـ.

